

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَنَّدَعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضْرُنَا وَنُرْدُ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَنَا اللَّهُ كَمَا لَدِي أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيْطَانُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَبُ يَدَعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَئْتَنَا قُلْ إِنَّهُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرَنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾٧١ وَأَنَّ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ ﴾٧٢ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ ﴾٧٣

الأنعام: 71 - 73

الدعوة الصامدة - الاستسلام لله عز وجل

(006) سورة الأنعام

اللقاء الناجع من تفسير سورة الأنعام - شرح الآيات 69 - 73

2023-03-18

الحمد لله رب العالمين، وأصلح وأسلم على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزرنا علماً وعملاً متقبلاً يا رب العالمين، اللهم أخرجننا من طلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات الفربات وبعد: فمع اللقاء الناجع من لقاءات سورة الأنعام، ومع الآية التاسعة والستين من السورة وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْفُونَ مِنْ حَسَابِهِمْ مِنْ سَيِّءٍ وَلَكُنْ ذَكْرِي لَعَلَّهُمْ يَنْفُونَ (69)

(سورة الأنعام)

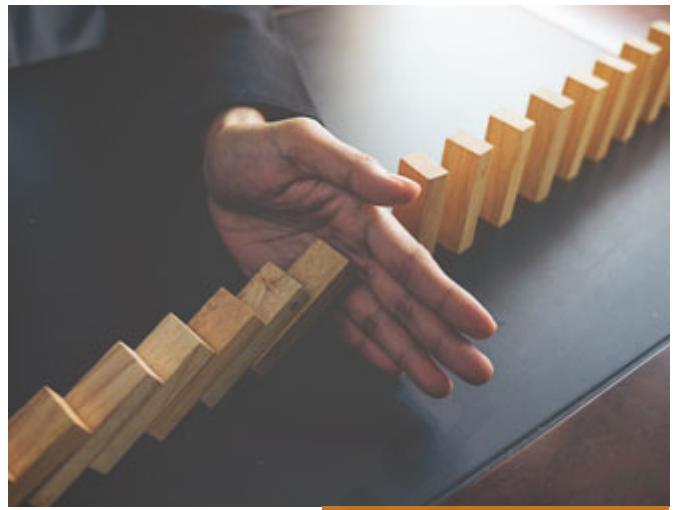
الآية التي سبقتها هي قوله تعالى:

إِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَغْرِضْنَاهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي خَدْيَتِهِ إِنَّمَا يَنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَنْفَعُ بَعْدَ الدُّرْتِي مَعَ الْقَوْمِ (68)

(سورة الأنعام)

الابتعاد عن المجالس التي فيها خوض آيات الله:

فالآية السابقة يُبَيِّن حكمًا شرعاً يُخاطب به النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويخاطب به أمنه من بعده، وهو أنك إذا جلست في مجلس فوجدت الناس فيه الناس المنحرفين البعدين عن الله قد خاضوا في آيات الله استهزاءً فأغرض عنهم، وإياك والجلوس معهم، والحالة الثانية أن يُنسِيك الشيطان فتقعد معهم بعض الوقت، فإذا تذكرت فينبغي أن تقوم فوراً بعد الذكرى، ولا تقعد مع القوم الطالمين الذين ظلموا أنفسهم، وظلموا دين ربهم وظلموا الآخرين.



التفوي تحمل بين الاسباب وعذاب الله وقاية

الآية الآن: **وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ جَسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلِكُنْ ذَكْرِي لَعْلَهُمْ يَتَّقُونَ** هؤلاء الذين تركوا الجلوس، هؤلاء الذين تركوا الجلوس مع القوم الطالمين هم الذين يتقوون، سماهم الله تعالى أو صفهم الله تعالى بأنهم "يتقوون" لأن التقوى تعني أن يجعل الإنسان بينه وبين عذاب الله تعالى وقاية، فيما الذي يدفع إنساناً أن يترك مجلساً، وربما يكون هذا المجلس فيه له حاجة، ممكן إنسان أن يجلس مع شركائه في العمل الذين له عندهم عمل، ثم يجدهم خاصوا في آيات الله تعالى، أو وضعوا على المائدة الخمور الدار، أو استهربوا بأية من آيات الله، أو بدين الله، فرباعهم فلم يرتدعوا، فيجد في نفسه رغبة أن يبعث من أجل لا تذهب التجارة التي بينه وبينهم، فيما الذي يدفع الإنسان لأن يترك مجلساً ويفوض عنه، أو ربما يكون المجلس مجلساً جميلاً فيه شهوة للنفس، فالذين يخوضون في آيات الله ربما يكون مجلسهم مجلس غنا، مجلس فحش، يعني الذي يخوض في آيات الله ليس بعد الكفر ذنب، فقد يندفع الإنسان إلى البغاء، فإذا قام من هذا المجلس، فالذي أقامه هو تقوى الله، والخوف من الله، لذلك سماهم الله تعالى **الذين يَتَّقُونَ** قال: **وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ جَسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ** فالله تعالى لن يحاسب هؤلاء المتقيين عما فعله هؤلاء الطالمون، لأنه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

<وَلَا تَرِئُ وَارِزَةً وَرْأَرِزَةً> Span/ **<وَإِنْ تَدْعُ مُنْتَلَةً إِلَى حِمْلَهَا لَا يُحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى >** **إِنَّمَا تُنْذَرُ الَّذِينَ يَخْسَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْعَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ >** **وَمَنْ تَرَكَ إِنْتَرَكَ لِتَقْبِيسِهِ >** **وَإِنَّ اللَّهَ الْمُحْسِنُ** (18)

(سورة فاطر)

فهذا المتقى لم يدخل في الجدل، ولم يدخل في الخوض في آيات الله، ولم يستهزأوا، أنا كنت صامتاً طيلة الفترة، ما تكلمت بكلمة، فلن أحاسب عنهم، فلماذا أؤمر أن أقوم من المجلس وأنا ما فعلت شيئاً، **وَلِكُنْ ذَكْرِي لَعْلَهُمْ يَتَّقُونَ** أنت بقيامك من هذا المجلس، واتخاذك هذا الموقف تذكريهم أن فعلهم هذا خطأ جسيم، فعلهم يصبحون مثلث متقين لله عز وجل عندما يجدون أخلاقي.

الدعوة الصامدة:



لا يوجد سكتوت إقرار إلا للنبي الكريم

هذا ما يسمى اليوم بالدعوة بالأفعال، الدعوة الصامدة، الدعوة بالفعل، قد أقول أنا لا أتأثر بهذا المحيط، أجلس به وأغضن بصري، ولا أنكلم بكلمة غير لائقة، لكن أجلس في المجلس فهل علي من إشكال؟ الإشكال أنك تكررت سواد هؤلاء، واقعهم بباطلهم، فإن قيل لهم يوماً ملخصكم باطل، قالوا له: الم تر فلان؟ لا أتعلم أنه يصلني ومتلزمه، وأنه ذو أخلاق رفيعة، وجلس في المجلس ولم يتكلم بشيء، وتعظم المشكلة كلما كان هذا الصامت له مكانة أكبر، فمعندي ربا يكون جلوس العالمي من عامة الناس، ممن يلتزمون بدين الله أهل حظرًا من أن يكون مثلاً الذي يجلس شيخ له توجيه ديني، وله درس ديني، ثم يسكت في هذا المجلس ولا يتكلم ولا يتخذ موقفاً، لذلك هذه الآية تعطيها بعداً نفسياً عظيمًا جًـا متعلق بالناس الذين يعتقدون أن سكتوت الناس إقرار، نحن عدنا في الشرع لا يوجد سكتوت إقرار إلا للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذه الآية خطاب له صلى الله عليه وسلم، غيره ليس سكتونه إقراراً، يعني لو كان أكبر رجل دين -وان كانت لا أوفق على تسمية رجل دين، ولكن عرف الناس، لو كان جالساً في مجلس وفقل به شيء أو نكلم به شيء بخلاف منهج الله تعالى، ثم صمت فهذا ليس حجة على صحة ذلك الأمر، قد يكون سكت لأنه لم يتبنته لما قيل، وقد يكون سكت لأنه خاف من شيء معين، وقد يكون سكت لمصلحة ما، وكل بني آدم خطاء، فالمؤمن لا يقول فلان عنه لا يعني صوابه، لكن النبي -صلى الله عليه وسلم- وحده لا يسكت في موضع الحاجة إلى البيان، فإن سكت كان سكته إقراراً.

سکوت النبي وحده إقرار للفعل:

مثل ذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- زار أبي السائب قبل دفنه وقد توفي، فزاره في بيته، وكان هذا من عادته صلى الله عليه وسلم أن يدعو للمتوفى وأن يزوره قبل دفنه، وبخف عن عائلته، فزارة فسمع امرأة تقول: "هنيئاً لك يا أبي السائب فقد أكرملك الله"، لأن النبي صلى الله عليه وسلم في موقف العزول والأسى كان من الممكן أن يسكت، لكنه لا يستطيع أن يسكت؛ لأنه لو سكت لكتب في السيرة إن أبي السائب من المبشارين في الجنة، أو وجبت له الجنة، ولكن كلامها صحيح، ولا صحي اليوم أي زوجها قد توفي تقول له: هنيئاً لك يا أبي محمد فقد أكرملك الله، ولا يستطيع أحد أن يقول لها شيئاً، فقد قبل ذلك بحضور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولم يتكلم، فكان سكوته إقراراً، فالتفت النبي -صلى الله عليه وسلم- إليها وقال: "وما أدركك أن الله أكرمه؟ قولي: أرجو الله أن يكرمه، وأنا نبي مرسلاً لا أدرني ما يفعل بي ولا بكم".

{ فَدَخَلَ عَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَسَهَادَتِي عَيْنِي لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ، قَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ قُلْتُ: لَا أَدْرِي وَاللَّهُ، قَالَ: أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ مَا أَذِرِي - وَأَتَا رَسُولُ اللَّهِ - مَا يُقْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ. }

(صحح البخاري)

لا يجوز أن تحكم على إنسان أنه من أهل الجنة، ولا من أهل النار، إلا من حكم له شرع الله تعالى، كقوله صلى الله عليه وسلم:

{ أبو بكر في الجنة، وعمرو في الجنة، وعلي في الجنة ، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة " }

(مسند الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن عوف)

هذا شيء آخر: لأن هذا يوحى من الله، أما الإنسان مهما علمت من صلاحه قل كان صالحًا، قل أساء الله له الجنة، لكن لا تقل: إنه من أهل الجنة، ولا تجزم لأحد بالنار، لا بجنة ولا ب النار، فإن هذا من شأن الإله وحده.

فإذا جلوس الإنسان في مكان ما غير النبي صلى الله عليه وسلم وسكته عند وجود منكر من المنكرات، لا يعني أن هذا المنكر صحيح، ولا يعني أنه إقرار، فهو للنبي صلى الله عليه وسلم وحده، ومع ذلك ينبغي أن تنتبه إلى هذا الأمر، فلا تجلس في مجلس فيه معاشرٌ ثار، أو آياتٌ تخاض فيها، وإنما تعرّض عن هذا المجلس، إما أن تنصّح وتنقول هذا لا يجوز، هذا حرام، وإما أن تنهض فأعرض عنهم، ولا تجلس معهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَدَرَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعْنَاهُ وَلَهُمُ الْخِيَالُ الْأَبْيَا /span style="font-weight:bold"> وَدَكْرٍ يَهُ أَنْ تُسَلِّمَ تَعْسُنُ بِمَا
كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيُّ وَلَا سَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدُ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا / أَوْلَئِكَ الَّذِينَ أَبْسِلُوا مِنْهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ
وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَقَعُ كَانُوا يَكْفُرُونَ (70) }
(سورة الانعام)

وَدَرَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ أي دين اتخذوا، دعوه لا تلتقط إليهم، أعرض عنهم، لا تجلس معهم.

معنى الدين:

الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ الدين ما يدين الإنسان به، هناك إنسان دينه المال يقال، لأنه يدين ويرجع إلى المال، يقول لك: هذا الموضوع فيه مال؟ إذا قلت له: لا يوجد فيه مال، يقول لك: لا مصلحة لي به، يعني دينه المال، بعد المال من دون الله، وقد يبيع دينه من أجله ماله، قد يبيع -والعياذ بالله- أهل بيته من أجل المال، دينه المال. فهو لاء اتخاذ دينهم الذي هو أعظم شيء، الذي يخلص الإنسان من النار، ويدخله الجنة، اتخاذهم لعياناً ولهمواً.

الفرق بين اللعب واللهوى:



اللَّعْبُ مَا يَمْضِيُ إِلَيْهِنَّ بِهِ وَقْتُهُ دُونُ طَائِلٍ

ما الفرق بين اللعب والله؟ اللعب ما يمضي الإنسان به وقته دون طائل، لقتل الوقت، واللعب في كل مرحلة عمرية هناك لعب معين، يعني اليوم هناك أناس يجلسون أربع خمس ساعات، سبع ساعات خلف الجوال يلعب لعانياً، ليس هناك أي طائل وراءه، ليس ربع ساعة، نصف ساعة مثلاً، تسلية، لا ساعات طويلة يقضيها خلف الجوال، هذا الرجل نفسه لو عرضت له صوره يوم كان ابن سنتين يمسك سيارة صغيرة، وسارة أخرى ويصرع بها، وهو يحركها بيده ثم يحدث تصادماً بينهما ثم تأتي الشرطة يضحك على نفسه، يقول كيف كانت تقنعني هذه السيارة؟ الآن هو يلعب على الجوال، بعد سنوات ربما ينظر لنفسه كيف كان يلعب على الجوال بعد أن هذا اللعب لم يكن له أي قيمة، الآن أصبحت اهتماماته في اللعب في مكان آخر، فاللعبة هو قتل الوقت بلا شيء، الآن إذا ألهى هذا اللعب عن شيء مهم فاصبح لهواً.

فهؤلاء **إِنَّهُدُوا بِنَهْمِ لَعْبًا وَلَهُوًا** يعني يمضون الأوقات ويقتلونها ويملئون بالاستهزاء بآيات الله عما خلقوا من أجله من الصلاة والعبادة والذكر **لَعْبًا وَلَهُوًا** والحياة الدنيا لعب لهوا، فيها اللعب وفيها الله.

الدنيا وسيلة لا غاية:

وَغَرَّهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا أي أعطوها حجماً أكبر من حجمها، وهي دنيا جعلوها علياً، الدنيا وسيلة، وليس غاية، لما تغير الإنسان تصبح عنده غاية لا وسيلة فيجعل الوسائل غايات. الآن مثال من واقع حياتنا: الناس عموماً إذا سمعوا بفلان مات أول سؤال يسألونه: كم عمره؟ أعرفه صغيراً، كم عمره؟ فمتلاً لو قيل: عمره ثلاثون سنة، أو أربعون سنة، أغلى الناس يقولون فوراً: يا حرام ما استمتع بشيابه، لو دخلت في العق كيف تریدون منه أن تستمتع بشيابه؟ إذا كانوا فاسقين متطرفين، يستمتعون بشيابه فالمحرمات، إذا كانوا متزمتين يعني لم يزدواجوا من الدنيا، يكون هذا الجواب لم يزدواجوا من الدنيا، يعني ما تزوج متلاً، بدأ بالمعامل ولم يتم العمل به، كان يطمح، ما معنى ذلك؟ معنى ذلك أنه في العمق الدنيا عندهم مبلغ العلم ومحظ الرجال، إذا هم يرون أن البيض كله في سلة الدنيا فقط، وضعوه بسلة واحدة، فإذا مات يقول لك ما استمتع بشيابه.

فلسفة الموت:



الآخرة هي محطة الآمال ومتنهى الرجال

ذلك الموت صعب جداً عندما تذهب عندما تقرأ بسير الصحابة الكرام هكذا استقبلوا خبر الموت؟ بهذه البساطة، كيف؟ فالقضية غير موضوع الرضا بالله ومن يتضرر بصيره الله، أتكلم عن فلسفة الموضوع، فلسفة الموضوع هل الدنيا هي كل شيء؟ إذا كانت كل شيء فمن حملك أن تحزن، كلنا نحزن، النبي صلى الله عليه وسلم حزن، الفراق فيه حزن، لكن المبالغة في قضية الحزن، والمبالغة في أنه معمول شاب مات؟ هي متعلقة في أنه يظن أن الدنيا هي نهاية كل شيء، فالذي عاش سبعين أفضل من الذي عاش سنتين، لحق أكثر، أما عندما تكون الآخرة هي محطة الآمال ومتنهى الرجال، فعندها الذي يموت بدأ بالحياة المهمة، انتقل للمكان الأفضل إذا كان صالحًا، هذه فلسفة الموضوع.

وَغَرَّهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا طنوها كل شيء، فتركوا الآخرة من أجلها فاغترروا بها، هذا غرور.

وَذَكَرْ يَهُ أي بالقرآن، ذكر الناس بالقرآن.

أَنْ يُشَتَّلَّ تَفْسِنْ بِمَا كَسَبَتْ يُشَتَّل أي تُسلَمُ نفسها، أو تُسلَمُ إلى الهلاك، أو تُمْتَأَنُ أو تُحبس، بهذا المعنى، **أَنْ يُشَتَّلَ تَفْسِنْ** يعني بال اختصار أن تُهلك نفس، أن يعرض إنسان نفسه للهلاك **بِمَا كَسَبَتْ** الباء باء السبب، أي يسبب كسيها الذي كسبته في الدنيا.

المنافذ الثلاث:

إِنَّسَنَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا سَفِيعٌ إِنَّ تَعْدِلُ كُلَّ عَذَلٍ لَّا يُؤْخَذُ مِنْهَا هنا ثلاثة أمور.

المنفذ الأول:

انتهوا **لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ** يعني ناصر ينصرها، معناها استحقت النار **أَئِنَّ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ** لا يستطيع أحد -حاشا لله تعالى- يمنع ربنا جل جلاله أن يدخل إنساناً النار، هل يملك أحد الولاية، النصرة لأحد يوم القيمة؟ أبداً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا لَكُمْ لَا تَنَاصِرُونَ (25) بِلْ هُمُ الْيَوْمُ مُسْتَسْلِمُونَ (26)

(سورة الصافات)

في الدنيا يوجد تناصر، في الدنيا يتناصرون الطالمون، فاستحق أحدهم حكم السجن ينصره شخص، يكون له ولياً، يشهد معه فيعفيه من السجن، فله ولد ينصره، في الآخرة لا يوجد نصير، فقال **أَئِنَّ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ** هذه النفس التي عرضت نفسها للهلاك، استحقت النار، **أَئِنَّ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ** إذاً استحقت النار.

المنفذ الثاني:

الآن المرحلة الثانية إذاً نحن نحاجة إلى شفيع، **وَلَا شَفِيعٌ** أن يأتي أحد ويقول: هذا صديقي، وهذا حبيبي وكنا معاً...إلا **وَلَا شَفِيعٌ** لا استطاع أن ينصره، وبعد أن استحق العذاب لم يستطع إخراجه بالشفاعة.

المنفذ الثالث:



العدل هو المساوى

الحل الثالث الذي يتadar إلى الذهن فوراً ادفع تخرج، **إِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَذْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا** كل عدل؛ العدل هو المساوى، يعني أقول أنا أقدم ما تريدون، كم تريدين؟ أنا عندي جداً، أبداً **إِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَذْلٍ** أي تقدم أي شيء، مهما كان كبيراً للخلاص من العذاب **لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا** هذا حال الناس في الدنيا، إذا الإنسان وقع في مصيبة، أليس، مفع من الحركة، قيد، دخل السجن هذا معنى أليس، أول شيء يفكر بالولي الذي يمنع إدخاله، إذا دخل يفكر بالشفيع الذي يخرجه (واسطة) إذا لم ينفع الولي ولم ينفع الشفيع، يفكر بما يدفعه، يقول لك: كم بريدي؟ أدفع المهم آن آخر.

فأغلىت المنفذ الثلاثة، **أَئِنَّ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَذْلٍ** مهما يكن لو يقدم ما يملك، هو في الآخرة الإنسان لا يملك شيئاً، ما الذي يستطيع أن يقدمه، لكن يوم القيمة قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُصَارُوْهُمْ **يَوْمُ الْمُغْرِمُ لَوْ يَقْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ يَتَبَيَّنُهُ** (11)

(سورة المعارج)

الابن أعلى ما يملك الإنسان، يصل لمرحلة يود لو أنه يقدم ابنه، خذوا ابني مكانى، في الدنيا اليوم الإنسان مهما كان نوع المصيبة (سجن) أغلب الآباء يقول للمحامي أنا أحملها، لكن ابني لا، يوم القيمة من شدة العذاب **يَوْمُ الْمُغْرِمُ لَوْ يَقْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ يَتَبَيَّنُهُ** أول شيء يقتدي به ألبن الذي هو أعلى شيء، **إِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَذْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا** أهلكوا بسبب كسبهم، لا يظلم ربك أحداً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُسْفَقِينَ مِمَّا فِيهِ وَقُولُونَ يَا وَلَيْتَنَا مَالَ هَذَا الْكِتَابُ لَا يُعَادُ رَصِيفَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَمْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا
(49)

(سورة الكهف)

هذه الباء باء السبب، أهلكوا بكسهم، أنت الذي كسبت المعصية، وكسبت الإثم، فأنت الآن ستهلك بكسبك.

أسلوب التهكم في القرآن الكريم:

لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَعْذَابُهُمْ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ لَهُمْ شَرَابٌ الشراب مُحِبَّ إلى النفس، رينا جل جلاله في القرآن الكريم هذا أسلوب تهكم، منه قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَبْشُرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (24)

(سورة الإنفاق)



أصعب أنواع الحزن أن يأتي بعد التفاؤل، إنسان غاب عنه شخص ثم قيل له: إنه حُبِّيرَق، فطارَ فرحاً، وفي أثناء طيرانه من الفرح بلغه أنه قد توفي، لو أنه أخبر بوفاته منذ البداية هذا آهون، فربنا جل جلاله في القرآن هذا أسلوب التهكم **قَبْشُرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** هنا **لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ** نار مغلٰ باعظام درجات الغليان (الحميم).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلِيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلِكُفْرِهِ إِنَّا أَعْذَنَا لِلظَّالِمِينَ تَارِاً أَخَاطَ بِهِمْ سُرَادُهُمْ فَإِنْ يَسْتَعْفِفُوا يُعَذِّبُو
(29)

(سورة الكهف)

لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَعْذَابُهُمْ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ بسبب كفرهم بالله تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فُلْ أَنْدَعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَصْرُنَا وَرُدْ عَلَى أَعْقَابِنَا يَعْدِ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَنَّهُ السَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حِيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ
يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أَتَيْنَا فُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرَنَا لِتُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (71)

﴿فُلُو﴾ يخاطب بنيه صلى الله عليه وسلم وبخاطبنا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَتَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَعْقُلُنَا وَلَا يَصْرُنَا وَلَرَدَ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ

الدعاء هو العبادة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

{ الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ }

(صحيف أبي داود)

ودعاء الكافرين لأصنامهم هو عبادته إياهم، أكثر مظاهر العبودية لله هي الدعاء، لذلك الذي يدعوا ما لا يضره ولا ينفعه، قال صلى الله عليه وسلم:

{ عن مصعب بن سعد، عن عدي بن حاتم، قال: أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي، اطرح هذا الوثن من عنقك! قال: فطرحته، وانتهيت إليه وهو يقرأ في "سورة براءة"، فقرأ هذه الآية: (اتخذوا أحبارهم ورہبائهم أرباً من دون الله). قال: قلت: يا رسول الله، إننا لسنا نعبدُهم! فقال: أليس بحرّمٌ ما حرّم الله فتحلّونه؟ قال: قلت: بل!

قال: **فتلك عبادتهم!**

(أخرجه الطبراني)

أنهم يدعونهم في الشدائيد.

﴿فُلُو﴾ أَتَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ وقلت لكم سابقاً كل ما يدعوه الإنسان فهو من دون الله (تحت) ﴿مَا لَا يَعْقُلُنَا وَلَا يَصْرُنَا﴾ لا يجلب لنا نفعاً ولا يجلب لنا ضرراً، بل لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، حتى يجلب النفع والضر للناس. إذاً المفهوم المخالف للآية أن الذي تعيده ينبغي أن يملك لك النفع والضر، وهو الله تعالى.

الهداية بالفطرة:



الله تعالى وجده هو الحال، ﴿وَرَدَ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾ يعني نرجع إلى الوراء، رَدَ على عقبه يعني رجع إلى الوراء، ﴿إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ هدانا الله بالفطرة ابتداء، لما خلقك الله تعالى حَتَّى يُؤْمِنَ، ورَدَّه في فليك، هداك بذلك الفكرة التي هي العقل، أنك تعقل، فلما كنت تعقل توصلت إلى أن الله تعالى وجده هو الحال، أو أن هناك حالاً للكون وأن هذا الصنم مثلاً ليس حالفاً، وهذا سبب نموذج عليه أيضاً في السورة بعد قليل في الصفحة التي تلتها عن سيدنا إبراهيم مع أبيه آزر، وعن سيدنا إبراهيم لما رأى الشمس بارعة، ما الذي هداه؟ عقله، طبعاً عقله لم يهديه إلى التفاصيل، هداه إلى وجود خالق للكون، هداه إلى وجود خالق؟ لأنها أفلت، وأن القمر ليس حالفاً، فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي قَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَتَّىٰ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79)

(سورة الأنعام)

فإذا **بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ** الله تعالى هدانا ابتداء، فطرتك تقول لك: هذا لا يجوز، هذا حرام، عقلك يقول لك: هناك خالق للكون، وهنا **بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ** من خلال نبيه - صلى الله عليه وسلم، الآن يأتي الأنبياء والرسل واللهادية، وهي أعظم الهداية، **بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ**. **كَالَّذِي** حال هؤلاء الذين يدعون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم.

عالم الجن موجود في الخبر الصادق:



نفي الوجود لا يستلزم منه **نفي الوجود** **كَالَّذِي اسْتَهْوَهُ الشَّيَاطِينُ** استوهاه طلبه إلى الهوى، تقول استسقى طلب السقرا، استخرج طلب إخراج الماء مثلاً، على وزن "استفعل" فاستوهاه؛ أي طلبه إلى الهاوية، أنزله إلى الهاوية، فالشياطين ما الذي تفعله؟ الشياطين هم مَرَءُوْ العين، عالم الإنس وعالم الجن، عالم الإنس، فيه مؤمنون وفيه كافرون، وعالم الجن: فيه طائعون وفيه عاصون، فيه مؤمنون وفيه كافرون، وهذا أثبته القرآن الكريم، فلو قال إنسان: أنا لم أر الجن، نقول له: إن **نفي الوجود** لا يستلزم منه **نفي الوجود**. إذا أنت شيء لم تجده، فهل هو غير موجود؟ أنت لم تجده لكنه موجود، لكن هو غائب عنك الآن، الآن الكهرباء لا تراها، فهل يعني أنها غير موجودة؟ لا، فيروس كورونا لم نره تجده، فهل يعني ذلك أنه غير موجود في البيت؟ أنت لم تجده لكنه موجود، لكن هو غائب عنك الآن، الآن الكهرباء لا تراها، فهل يعني أنها غير موجودة؟ لا، فيروس كورونا موجود، أي فيروس الفيروسات موجود، هل زارناها؟ لم زرناها، هل يعني ذلك أنها غير موجودة، لكن لا يعني ذلك أنها غير موجودة، فالجن موجودون في الخبر الصادق: لأنه غيب، فالغيب لا نجد، لكن نؤمن بوجوده لأنه أخبرنا به من قبل الله تعالى، هذه القاعدة لو عقلها بعض من يُسمّون أنفسهم مفكرين لانتهت المشكلة، يعني هو حياة البرزخ لا نعلم عنها شيئاً، ولا نجد لها أثراً، فهل يعني أنها غير موجودة؟ موجودة، وفيها عذاب القبر، وفيها نعيمه، ولكن هي حياة من نوع خاص.

معنى الحيرة:

بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَتْرَانَ الحيرة هي أن تتردد في شيء بين قوله أو رفضه، بين طرفين متناقضين، فتقول: أنا محتر أسفـرـ أـمـ لاـ أـسـافـرـ، أنا محـارـ أـتـرـوـ أـمـ لاـ أـتـرـ، أنا محـارـ أـذـهـبـ إـلـىـ ذـاكـ الـعـلـمـ؟ يعني تكون في حيرة بين شيئـنـ اثـنـيـنـ، أـلـهـمـاـ تـسـلـكـ؟ أـلـهـمـاـ تـقـولـ؟ هـذـهـ الـحـيـرـةـ، فـهـؤـلـاءـ مـاـ الـذـيـ حـيـرـهـ؟ عـنـهـمـ نـدـاءـ الـفـطـرـةـ، نـدـاءـ الـعـقـلـ، نـدـاءـ الشـرـ وـالـوـحـيـ، يـدـفـعـهـمـ إـلـىـ الـهـدـىـ، وـعـنـهـمـ الشـيـاطـيـنـ تـسـتـهـوـهـهـمـ وـتـاخـذـهـمـ إـلـىـ طـرـيقـ الصـلـالـ، إـلـىـ الـأـرـضـ، يـخـلـدـونـ إـلـىـ الـأـرـضـ، وـنـدـاءـ الـفـطـرـةـ يـدـفـعـهـمـ إـلـىـ السـمـاءـ، فـأـصـحـوـهـمـ بـيـنـ شـيـئـنـ مـتـرـدـدـيـنـ، فـوـصـفـ اللـهـ حـالـهـ فـقـالـ:

حَتْرَانَ لَهُ أَضْحَاثٌ يَذْغُوْنَهُ إِلَى الْهَدَىِ الْيُتَّقَّا بمقابل الشياطين التي تستوهـهـ إلىـ الهـاوـيـةـ، يعني صـدـيقـ سـوءـ، وـصـدـيقـ حـقـ، تـقـولـ: وـالـلـهـ مـحـترـ معـ منـ أـذـهـبـ، شـيـطـاـنـ إـنـسـ أوـ جـانـ، وـرـجـلـ صـالـحـ، سـمـعـتـ الـصـالـحـ وـسـمـعـتـ الـبـاطـلـ فـتـرـدـ بـيـنـهـماـ، هـذـهـ الـحـالـةـ الـتـيـ يـصـفـهـاـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ. **حَتْرَانَ لَهُ أَضْحَاثٌ يَذْغُوْنَهُ إِلَى الْهَدَىِ الْيُتَّقَّا** تعالـى لـكـونـ مـعـاـ لـنـقـلـ الـخـيـرـ... إـلـخـ.

فُلْ إِنَّ هَذِي اللَّهُ هُوَ الْهَدَى حـسـمـ اللـهـ تـعـالـىـ الـمـسـأـلـةـ بـيـنـ أـنـ تـكـوـنـ فـيـ الـهـوـيـ أـوـ الـهـدـىـ، الشـيـاطـيـنـ إـلـىـ الـهـوـيـ، اللـهـ تـعـالـىـ يـرـيدـكـ إـلـىـ الـهـدـىـ، **فُلْ إِنَّ هَذِي اللَّهُ هُوَ الْهَدَى** أـيـ لاـ هـدـىـ غـيـرـهـ، لـيـسـ هـنـاكـ هـدـىـ إـلـاـ هـدـىـ اللـهـ تـعـالـىـ.

الأوامر الثلاث:

وَأَمْرَنَا لِنُشْرِمَ لِرَبِّ الْعَالَمَيْنَ الآن انظروا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَنَّ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَقْوِهُوا وَمُؤْلِفُ الْذِي إِلَيْهِ يُحْشَرُونَ (72)

(سورة الأنعام)

الأوامر الثلاثة:

1. ﴿أَمْرًا لِتُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

2. ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾

3. ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ إقامة الصلاة هي جانب الفعل، واتقوه جانب الترك، التقوى ألا تفعل شيئاً يغضب الله بالأساس، يعني التقوى غض بصر، التقوى ترك مال حرام.



الإسلام هو دين الاستسلام لله تعالى **﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾** فعل، قبل الفعل والترك العقيدة، **﴿وَأَمْرًا لِتُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** دين الإسلام هو دين الاستسلام لله تعالى، فأنت مأمور أن تستسلم لله رب العالمين، فإذا استسلمت لأمره كنت قادرًا على الفعل وعلى الترك، على فعل ما أمر، وترك ما نهى عنه وجز، وفي محصلة الأمر: **﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾** فالمرجع إليه والحضر إليه جل جلاله، وسيحاسبك على عقيدتك هل كان فيها استسلام لرب العالمين، أم استسلام لهوى النفس والشياطين؟ وسيحاسبك هل كنت فاعلاً لما أمر، وسيحاسبك هل كنت مجتنباً لما نهى عنه وجز؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَهُوَ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْتَجُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْعَيْبِ وَالسَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ

(سورة الأنعام)

جل جلاله، ربنا جل جلاله خلق السماوات والأرض بالحق قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا يَبْهِمَا بَاطِلًا ذَلِكَ طَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ

(سورة ص)

ربنا ما خلق السماوات والأرض بالباطل، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفَخَسِيْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْدًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجُعُونَ (115) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمُلْكُ الْأَحْقُقُ لَا
إِلَهٌ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعِرْشِ الْكَرِيمِ (116)

(سورة المؤمنون)



الحق هو الشيء الهادف والثابت الذي لا يزول

تعالى الله أن يخلق شيئاً عيناً، أنت اليوم إذا شركة مهمة جداً وصنعت سيارة من أحد طراز، ورأيت في داخلها قطعة، توهمت للحظة أن هذه القطعة ليس لها فائدة، تذهب فوراً إلى الكتالوك، تذهب إلى الميكانيكي، تذهب إلى الشركة المصنعة ل تستفسر؛ لأنك تومن أن هذه الشركة لا يمكن أن تضع في السيارة شيئاً باطلأ، يعني بلا هدف، ليس له أي قيمة، لماذا وضعوه؟ مهما يكن لكن له فائدة، لأنك تعظم الشركة الصالحة، فلا تتصور أنها يمكن أن تضع شيئاً باطلأ، فربنا جل جلاله العظيم، خلق السماوات والأرض بالحق أي إن الحق لا ينس خلق السماوات والأرض، يعني بالشيء الهادف والثابت الذي لا يزول، أما الباطل فهو الشيء العابث والرائل الذي لا قيمة له.

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۝ وَتَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ قَوْلُهُ الْحَقُّ ۝ وَتَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ يوم القيمة **كُنْ فَيَكُونُ** هذه السماوات والأرض التي خلقها بالحق الآن يزيلاها بالحق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (9) وَسَيِّئُ الْجِنَّاتُ سَيِّرًا (10)

(سورة الطور)

وتنفتر السماء، وتکور الشمس...إلخ.

وَتَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ قَوْلُهُ الْحَقُّ ۝ فهو جل جلاله خلق بالحق، يجعل نظام الكون مختلاً بالحق؛ لأنه قد انتهت مهمته.
قَوْلُهُ الْحَقُّ ۝ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَعُ فِي الصُّورِ ۝ والآن لمن المُلْك؟ له، لكن الآن يوجد واسطة، الآن الأرض هناك أشخاص يملكون أجزاء كبيرة منها، فأنت تقول هذه الأرض لمن؟ لفلان، يغيب عنك أنها لله في يد فلان، فتتوهم أن هناك من يملك في الدنيا، لكن **وَتَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ۝** في الصور الآن لم يعد لأحد مُلْك في أرض الله، رجع المُلْك إلى مالكه الأصلي، **وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَعُ فِي الصُّورِ ۝** النفخة التي يُنْفَعُ النفخة الأولى فيماوت من في الأرض، والنفخة الثانية التي يقوم الناس فيها لرب العالمين.

عالم الغيب والشهادة:

عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۝ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرِ ۝ ربنا جل جلاله علم الغيب وعلم الشهادة، الشهادة هذا العالم الذي نعيشنه الآن، شيء أراه يعني، أمسه بيدي، أسم ريحه بأني، أتدوقة بلسانني، أسمعه بأذني، هذا عالم الشهادة. لكن هناك عالم الغيب الذي غاب عنا، لكن الله تعالى عالم الغيب وعالم الشهادة جل جلاله.

معنى الحكيم الخير:

وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرِ ۝ الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها، والخير الذي يعلم علماً محياً شاملاً، فالخبرة أعمق من العلم، حتى في حياتنا نقول: فلان خير في الحواسيب، خير، الخبرة يعني أنه درس لسنوات، وممارس فصار خيراً، أخذ صفة "خير" فالخبرة أعلى من العلم، والله تعالى عليم وخير، والحكمة ناتج من توازن العلم والخبرة، فيقدر ما تكون خيراً في شيء تصرف وفق ما ينبغي أن تصرف به، وكلما نقصت معلوماتك تخرج عن الحكم، لذلك ربنا جل جلاله عليم حكيم، في أكثر الآيات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَبِسْمِ اللَّهِ لَكُمُ الْأَيَّاتِ ۝ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (18)

(سورة النور)

لا يعلم الحكمة إلا الله:



المؤمن عنده يقين من علم الله عز وجل

فإذا لم تفهم حكمته في شيء؛ فلأنه ينقصك علمه في هذا الشيء، إذا قلت لماذا حدث الزلزال؟ مات الكثير من العالم، ما عندك علم، كما لو قلت "لماذا هذا الطيب يُكثر وصفاته؟ وما الذي رأه لما أمسك تخطيط القلب حتى فعل هذا، يعني حتى ححط عينيه، أنت ما عندك العلم، ولا تعرف أي شيء، ولا تدرى لماذا يتصرف، تصرف حكمة، ولكنه ناج عن علم أو عن خبرة، فأنت لما لا تدري عليك أن تنسكت، عالم الدنيا إذا تكلمت وأنت لا تعلم، وانتصرت تصرفات شخص يعلم بمنحك عليك الناس، لا أحد يتجرأ أن يتكلم، لكن مع الله -عز وجل- لأن الموضوع غريب يتجرأ الناس، لماذا فعل الله كذا؟ وأنت ما الذي يعنيك هذا الأمر؟ أنت ما المعلومات التي عندك التي تؤهلك أن تحكم على تصرفات الله؟ الزم الصمت.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَهُمْ يُسْأَلُونَ </> لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَعْمَلُونَ (23)

(سورة الأنبياء)

جل جلاله، مع البشر تجرأ إن كان الطيب جالساً، أو كذا، أنت اليوم إذا كنت جالساً مع رئيس أكبر شركة في الجوالات، وقمت وتكلمت فكرة ما خاطئة عن الجوالات، وصناعة الجوالات، هل تجرأ أن تتكلم أو تسأل لماذا فعلتم كذا؟ لا تجرأ لأنه عالم، مع ربنا -عز وجل-؛ لأنه غاب عن أنظارنا جل جلاله لا تدركه الأ بصار في الدنيا، فإننا نجرأ أن نتكلم في أفعاله جل جلاله، أما المؤمن عنده يقين من علم الله -عز وجل- وحكمة الله، فيستسلم لله، انتهى الذي جرى بقضاء الله، لحكمة بعلمه الله، بعلم الله، لذلك قال **عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرِ** تأدب في حضرته جل جلاله.

والحمد لله رب العالمين.